(الفصل الرابع عشر)
"جنة الله على الأرض"

في صباح اليوم التالي، وقد أشرقت شمس الواحات على كل جزء من أرضها، فأبرزت جماله وإبداع يد الخالق عز وجل، سار كل من ناردين ونور الدين في طريقهما إلى جولتهما وهما في شدة الانبهار بكل هذا الجمال والإبداع الذي يشاهدانه بكل شبر على أرض الواحات الخلابة. توقف نور الدين بالسيارة أمام أثر تاريخي يبدو من معالمه أنه معبد ثم قال:

- **هيا يا ناردين، انزلي من السيارة؛ ستبدأ جولتنا من هنا.**

فنزلت وهي في منتهى التعجب، وبنبرة صوت مندهشة قالت:

- **ما هذا؟ أخيال هذا الذي أراه؟**

فرد مبتسمًا وهو يمسك بيديها ليصطحبها إلى داخل المعبد؛ حتى تشاهده من الداخل قائلًا:

- لا يا حبيبتى، فما تراه عيناك الجميلتان، هو واقع؛ فهذا الإبداع والجمال واقع موجود هنا في معبد آمون.

سارت معه ويدها تتوارى في حضن يديه، وخطواتها تتسابق متلهفة لرؤية ما بالداخل، ثم ردت قائلة:

- **رائع! هل قلت معبد آمون؟! هل هذا المعبد هو معبد الإله آمون إله الفراعنة؟**

فرد نور الدين مازحًا:

- **أهذا كل ما تعرفينه عن الإله آمون؟ إنه إله الفراعنة فقط يا ناردين؟**
- **أتساءل، كيف كانت درجاتك في مادة التاريخ يا ترى؟**

ثم علت ضحكاته؛ فضحكت ثم ردت هي الأخرى مازحةً:

- **الشكر لله، لقد كنت أنجح في مادة التاريخ ولا أنشغل بالدرجات، فأنا لست بمستوى عبقريتك بالتأكيد سيادة المؤرخ العلامة.**

فضحك قائلًا :

- **حسنًا، إذن دعي العلامة يعرفك هذا الأثر العظيم.**

ثم تابع مازحًا:

- **فكما ترين يا سيدتي، هذا هو معبد الإله آمون ويسمى أيضًا بمعبد الوحي والتكهنات.**

ثم أشار بيده إلى جدار المعبد من الداخل على اليسار قائلًا:

- **هنا كان يتكهن الكهنة بما سيحدث من خلال قراءاتهم للفلك والروحانيات وما إلى ذلك من العلوم التي برع فيها القدماء. هذا المعبد هو أول مكان شهد على موت أول شهيد لكلمة الحق في التاريخ.**

فاندهشت ناردين ثم عقبت:

- **حقًّا؟ لم أكن أعلم هذه المعلومة من قبل، هيا احكي لي حكاية هذا الشهيد فورًا هيا هيا...**

فقاطعها ضاحكًا:

-والله لو تركتيني للحظات دون أن تلاحقيني بكلماتك لكنت أنهيت قصته الآن.

فتصنعت الغضب قائلةً:

- كم أنت سخيف يا نور الدين؟ حسنًا، لا أريد معرفة شيئًا.

ثم أشاحت بوجهها عنه إلى الاتجاه المقابل، وفور وقوع نظرها على الجدار المقابل شاهدت نقوش فرعونية كأنها كتابات، فتساءلت في تعجب:

- ترى ما معنى هذه الكلمات يا نور الدين؟!

وهنا لم يستطع أن يتمالك نفسه من شدة الضحك، ثم استجمع نفسه قائلًا:

- **عجبًا لكِ يا ناردين! منذ ثانية واحدة خاصمتيني، ولم ترغبي في معرفة شيئًا مني، والآن تسألينني.**

فضحكت قائلةً:

- **كفاك سخرية، هيا أخبرني بكل ما تعرفه عن هذا المعبد الآن، وإلا لن أتركك تغادر.**

فرد وهو يمزح قائلًا:

- **لا بأس، سأخبركِ والآن قصة هذا المعبد وهذا الشهيد كالآتى "في هذا المعبد حدثت أول عملية نفاق للسلطة في التاريخ، كما حدثت أول عملية نضال ضد السلطة وتزييف الحقائق، ففي عهد الإسكندر الأكبر عندما توسعت إمبراطوريته أتى إلى هذا المعبد، وكان قد سمع عنه أنه معبد التنبؤات فأراد أن يختبر الكهنة؛ ليعرف هل هم صادقون؟ أم أنهم كاذبون.".**

ناردين تستمع في انتباه وهي مستمتعة؛ فأشارت إليه بعينيها أن تابع، فتابع:

- فأتى وأحضر الكهنة ثم قال لهم "أنبؤوني من الذي قتل أبي فيليب؟". فصمت الكهنة لأنهم لا يعلمون؛ فهم حقًّا كاذبون، دجالون، منجمون، أخذ بعضهم ينظر إلى الآخر في توتر وخوف وصمت، فأعاد عليهم الإسكندر سؤاله في حزم قائلًا "ها، هيا انبؤونى؟ من الذي قتل أبي؟". فرد كبير الكهنة في تلعثم وارتباك قائلًا "سيدي، لم يقتل أحد أباكَ"، فتعجب الإسكندر وعقب غاضبًا "كيف ذلك؟ لقد قتل أبي؟ فكيف أنه لم يقتله أحد؟ اتسخرون مني؟" فأجابه كبير الكهنة على الفور متلجلجًا "مهلًا يا سيدي؛ فأبوكَ لم يمت لأنك ابن الإله آمون " والإله آمون خالد، فأنت نصف إله، كما أنك سوف تحكم العالم، ولكن لفترة قصيرة، وهذه النبوءة قد تحققت بالفعل.". راقت هذه الكلمات الإسكندر كثيرًا؛ فجعلته يشعر بالعظمة

والفخر أن يكون هو نصف إله، وأن يكون ابن الإله آمون إله الفراعنة فصدق قولهم، وعاش على هذه الخدعة؛ فتعامل مع قادة العالم على أنه نصف إله؛ لذلك، يعتقد المؤرخون بأن الإسكندر مدفون هنا بجوار المعبد؛ فعندما مات ذهب جثمانه إلى مقدونيا، لكن بطليموس وهو أحد قادة جيش الإسكندر عندما أخذ مصر مرة أخرى أحضر جثمانه وقال "إنه قد كتب في وصيته أن يدفن بجوار أبيه الإله آمون.". وانتشر الخبر هنا حول المعبد، وفي جميع أنحاء البلاد بأن الإسكندر هو ابن الإله آمون، وكان من بين عامة الشعب، شاب يدعى حابي فلما سمع ما قاله الكهنة عن الإسكندر بأنه ابن الإله آمون ثار، كان يعرف بأن الإسكندر مقدوني وليس مصريًا؛ فكيف يكون هو ابن الإله آمون؟ أخذ يجول أرجاء المدينة وهو يصرخ بأن الكهنة كاذبون، وبأن الإسكندر ليس إلهًا ولا نصف إله، وبأنه ليس ابن الإله آمون. بالفعل، فلقد صدق الشاب واقتنع بكلامه عدد كبير من المواطنين حتى وصل الخبر إلى الإسكندر؛ فأمر بإحضار الشاب إليه هنا في هذا المعبد. أحضر الحراس الشاب وأوقفوه أمام الإسكندر الذي قال "ألا تخافني أنا الإسكندر بن الإله آمون؟ كيف تجرؤ على حديثك هذا الذي تدور به بين الناس؟". وقف الشاب بكل ثبات وقوة وشجاعة وهو يعرف بأنه سوف يعدم بعد لحظات، فلم يخف، ولم يتراجع، وبكل شجاعة قال "أنت لست إلهًا كما أنك

لست ابن الإله آمون، لست مصريًا، فأنت مستعمر مقدوني، ابن رجل مقدوني لا علاقة لك بمصر ولا بأهلها ولا بآلهتها، فاذهب من حيث أتيت.". **وأمام حجة الشاب القوية لم يجرؤ الإسكندر على المجادلة؛ فهزم أمام منطق حابي ثم أمر بإعدامه؛ فذبح على الفور، فكان هو أول شهيد في التاريخ للحفاظ على أرض هذا الوطن وهويته في هذا المعبد.**

بعد أن أنهى نور الدين الحكاية ظلت ناردين تصفق له وهي تمطره بنظرات الإعجاب والفخر ثم قالت:

- كم أنت رائعًا يا نور الدين! فالحكاية في منتهى الروعة.

ابتسم ثم رد قائلًا:

- لا يزال بجعبتي الكثير؛ لقد أقسمت على أن أسعدك في هذه الرحلة. هيا يا جميلتي لنرى ماذا سوف نشاهد بعد ذلك؟ وإلى أين سوف نذهب؟

استقلا سيارتهما وانطلقا، وفي الطريق لمحت ناردين بحيرة من على بعد يحدوها جبال بيضاء فصاحت متعجبة:

- نور الدين، انظر، انظر، جبال بيضاء، أرأيت ذلك؟

فرد مندهشًا:

- سبحان الله العظيم، ما هذا الجمال الخلاب؟ تعالي نقترب لنرى يا ناردين.

بالفعل اقتربا من البحيرة فهبطا من سيارتهما وهما في قمة الدهشة، فما رأته عيناهما حقيقة وليس خيالًا؛ فهذه حقًّا جبال بيضاء لأنها جبال من الملح، وهذه البحيرة هي البحيرة المالحة التى يستخرج منها هذه الكميات الهائلة من الملح الخام؛ فلقد علم كلاهما هذه المعلومة من أحد سكان الواحة الذي يعمل في استخراج الملح. عندما شاهدهما الرجل ظن أنهما سائحان؛ فقدم نفسه لهما قائلًا:

- **مرحبًا، أنا عبدون، أعمل هنا وأنتما من؟ أعتقد أنكما زوجان حديثا الزواج، وتمضيان إجازة الزواج، هنا أليس كذلك؟**

وفور سماع ناردين هذه الكلمات تورد وجهها خجلًا، أما نور الدين فقد برقت عيناه ثم ابتسم في سعادة قائلًا:

- **مرحبًا، نحن مهندسان نعمل هنا في مشروع الاستصلاح على أطراف الواحة.**

ثم مد يده ليصافح عبدون مرحبًا ثم اعتذر قائلًا:

- **عفوًا، لقد ظننتكما زوجين.**
- **لا عليك، المهم، أخبرنا بأمر هذه الجبال وهذه البحيرة.**

فأخبرهما بأنها جبال الملح التي تستخرج من البحيرة المالحة، ثم أعطاهما كتيبًا إرشاديًا عن أهم معالم الواحة السياحية مودعًا إياهم.

في السيارة جلست ناردين تتفقد الكتيب وهي تنظر إلى الصور باهتمام، وتقرأ الملخص المكتوب تحت كل صورة في سعادة وتعجب، ثم نظرت إلى نور الدين وهي غير مصدقة للواقع الذي تراه وتقرأ عنه بأم عينيها، ثم في تعجب قالت:

- **ما هذا يا نور الدين؟ أين نحن؟ لم أكن أتخيل بأن الله سوف يدخلني جنته وأنا ما زلت على قيد الحياة، حقًّا، فهذه الواحة هي جنة الله على الأرض. هل يعقل أن يوجد في بلدنا مثل هذا الجمال والسحر ولا أحد يعلم عنه شيئًا؟! هل تعلم؟ عندما أتيت إلى هنا كنت أظن بأن هذه الواحة ماهي إلا مجرد صحراء سكانها بدو، ظننت بأنه لا توجد حياة هنا على الإطلاق، لكني صدمت في الواقع، فما هذا الجمال؟! كل مقومات الحياة هنا.**

كل هذا الحوار ونور الدين صامتًا يستمع إلى ناردين، ويكتفي بابتسامته الساحرة، ونظراته العاشقة، أما ناردين فمن هول ما رأت بالكتيب من جمال وسحر لم تستطع أن تتمالك نفسها من شدة الإعجاب والدهشة؛ فتابعت حديثها قائلةً:

- **انظر، انظر، يا نور الدين.**

وهي تريه صفحات الكتيب وتقلبها له بيديها ثم أشارت بأصابعها وتابعت:

- **هنا توجد عيون من المياه الجوفية، عين جوبا، والعين السخنة، والعين الساقعة، وعين كليوباترا، كل هذه العيون الرائعة والآبار الجوفية. انظر، أنا أريد أن أذهب وأرى كل شيء بنفسي، هيا خذني إليها الآن.**

فضحك "نور الدين" قائلًا:

- **سبحان الله، أرى الآن أمامي طفلة عمرها لا يتجاوز الخامسة تريد أن تلهو وتتنزه.**

فضحكت وهي تخفي وجهها بالكتيب في خجل ثم قالت:

- **وماذا بها ؟ نعم أريد أن أزور كل تلك الأماكن الموجودة بالكتيب، العيون، والمنتجع، وفندق الملح، وبحر الرمال،و... و... و...**

فقاطعها ضاحكًا:

- **مهلًا، رويدك؛ فكل هذه الأماكن تحتاج إلى أيام وشهور لمشاهدتها فقط، والآن قد تأخر الوقت والشمس تستعد للغروب. انظري كم هي في قمة الروعة عند غروبها وهي تودع الصحراء؛ لتعلن عن قدوم الليل، فتنسحب في هدوء ووقار، تبارك ألله احسن الخالقين.**

فأجابته ناردين وهي تتابع غروب الشمس بعينيها وقد سجلت هذه اللحظة الرائعة بفيديو من هاتفها، قائلةً:

- **حقًّا يا نور الدين؛ فلقد أمضيت معك عمرًا من السعادة وليست ساعات، لقد أسعدتني لدرجة تكفيني لما سيأتي من عمري، لم أكن أتخيل بأن الله سوف يرسلني إلى هذه الجنة، ويرسلك أنت إليَّ؛ فأشكرك يا ربي، وأدعوك ألا تحرمني هذه السعادة.**

فابتسم نور الدين بعد أن طبع قبلة ساخنة علي جبينها قائلًا:

- **بل أنتِ سعادة الدنيا التي قد منَ الله بها عليَّ، أدعوه بأن أستطيع أن أؤدي شكرها كما ينبغي.**

فبكت من فرط روعة هذا الإحساس وهذه الكلمات وتلك المشاعر الرقيقة الصادقة وهي تعانقه قائلةً:

- **من حسن الحظ أنك هنا، من حسن الحظ أنك بحياتي.**

فعانقها في حنان قائلًا:

- **هيا يا حبيبتي، علينا أن نعود إلى السكن، لقد انتهت رحلتنا اليوم، لكني أعدك بأننا سوف نشاهد كل جزء في هذه الجنة لاحقًّا.**

فابتسمت قائلةً:

- **حسنًا، حسنًا، هيا بنا نعود.**

كل هذه الأحداث التي عاشها كل من نور الدين ونارديـن معًا على مدار العام، لم يكن أحد منهما يعلم بأنه بينما كانا هما يعيشان الكثير من الأحداث في هذا العام، كان هناك من يبحث عن ناردين.

عندما سافرت لأول مرة إلى الواحات كانت قد طلبت من أبيها أن يخفي عن أى مخلوق مكانها، طلبت منه أن يخبر الجميع بأنها سافرت إلى ألمانيا لتستكمل دراستها وتريح أعصابها، وهذا ما فعله أبوها؛ أخفى أمر الواحة عن الجميع.

ترى من الذي يبحث عن ناردين؟ وما هي حكايته؟